# جنـــاية أحمد أمين
## على الأدب العربى
### للدكتور زكى مبارك

( النهاية )

هل أستطيع أن أحدّث القارئ مرةً عن بعض مكاره النقد الأدبى ؟

ليتنى أعرف من أغرونى بسلوك هـذا الطريق المحفوف بالمخاطر والمعاطب والحتوف !

كنت تبت ونجانى الله من مهلكات هذا الطريق الوعر الشائك ، فكيف رجعت إليه بعد أن عرفت وجه الخلاص ؟

كان الأستاذ أحمد أمين أحد الأصدقاء الذين رأيت أن أتجنب الوقوف فى طريقهم مهما كانت الأحوال ، وكانت الحجة بينى وبين نفسى أنّ هذا الرجل رقيق الإحساس ، أو ضعيف الأعصاب ، فلا يجوز أن أعرض له بإيذاء

وما زلت أذكر ما وقع فى سنة ١٩٣٥

كنت يومئذ مدرساً بكلية الآداب ، وأخرج الأستاذ أحمد أمين الجزء الثالث من ضحى الإسلام ، وقد سرق من الأستاذ ابراهيم مصطفى مسألة متصلة بتاريخ النحو وسرق منى مسألة متصلة بتاريخ التشريع الإسلامى ، فصاح إبراهيم : إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجةً ولى نعجةٌ واحدة فكيف يسرقها منى ؟ إنه لطمّاع !

جلست أنا وابراهيم نتشاكى فى غرفة أساتذة اللغة العربية ، وانتقلنا من التشاكى إلى التباكى ، فهتفتُ : سأنتقم لى ولك يا ابراهيم !

قال : يعزّ علىّ أن يُجرح الأستاذ أحمد أمين بسببى ، وهو صديق قديم ، ولم ينهب منى شيئاً قبل هذه المرة ، وأنت يا صديقى قد أوغلت فى معاداة طه حسين فلا تضف إليها معاداة أحمد أمين !

وشاءت المقادير أن أقص هذه القصة على بعض أصدقائى فى بغداد سنة ١٩٣٨ فكان من أثر ذلك أن وجّه إلىّ سؤالٌ فى جريدة « الكلام » عن بيان ما سرق منى أحمد أمين

ورأيت أن أعتصم بالصمت فلا أجيب : لأنى كنت نشرت قبل ذلك كلمة أثنيت بها على جهود أحمد أمين فى جريدة « الهدف » ولأنى كنت أستقبح اغتياب أبناء وطنى فى جرائد بغداد ، فقد كان أدباء لبنان يسمونى سفير العروبة المصرية فى العراق

ومنذ أشهر نشر الأستاذ أحمد أمين مقالته الأولى فيما سمّاه جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى فلم تعجبنى : لأنى رأيتها من الحديث المعاد ، ثم لقينى مصادفةً فى « الترو » بعد ظهور مقالته الثانية فسألنى عما أراه فى الأفكار التى أودعها مقالتيه ، فقلت له : لم يعجبنى غير نقد الشاهد الذى أوردته من كلام ابن قتيبة ، أما سائر أفكارك فتحتاج إلى تحقيق ، فقال : أنا دعوت القراء إلى مناقشة تلك الأفكار ، وأنا أرحّب بكل ما يَرِد إلىّ من تصحيح

فهل كان يدعونى إلى أن أساجله الحديث ؟

كانت الصداقة بينى وبين الأستاذ أحمد أمين قد بلغت أقصى حدود المتانة والصدق ، وما كان ينتظر أن يرى منى غير ما يحبُّ ، وكنت والله خليقاً بالتجاوز عن سيئاته لو لم يُسرف فى الإساءة إلى ماضى اللغة العربية فى وقت يحرص فيه العرب على تفهيم أبنائهم أن أجدادهم كانوا من أصحاب المنازل الرفيعة فى العلوم والآداب والفنون ، وأنهم كانوا فى ماضيهم من أقطاب الزمان

وكذلك وقعت الواقعة وكان ما عرفه القراء من تمزيق الأوهام التى اعتز بها ذلك الصديق

* * *

ولكن ما الواجب لهذا التمهيد فى مطلع المقال الثانى والعشرين ؟

أنا أريد أن يعرف القارئ أنى أشعر بالضجر حين أثبت فى مقال اليوم أن أحمد أمين سرق بعض آرائى ، بعد أن أثبتُّ ما سرق من الدكتور أحمد ضيف والدكتور طه حسين ، وما كان يهمنى أن ينص على ما سرق منى ، ولكن اعتزازه بآرائه « المبتكَرة » أوجب الحدّ من جرأته العاتية فى نهب تلك « المبتكرات »

وأدخل فى صميم الموضوع فأقول :

اهتم الأستاذ أحمد أمين بالنص على أن الشعر العربى كان فى أغلب أحواله أدب معدة لا أدب روح ، وحجته فى ذلك أن التكسب بالشعر كان عادةً غالبةً على أكثر الشعراء ، وقد طنطن بهذه المسألة وأخذ يعيدها فى كل مكان حتى صحّ للأستاذ محمد العشماوى بك أن يراجعنى بهذه العبارة :

« كيف تعيب على الأستاذ أحمد أمين أن يقول إن شعراء العرب كانوا يتجرون بأشعارهم ، وهو قول صحيح » ؟

فهل ابتكر الأستاذ أحمد أمين ذلك الرأى ؟

أنظروا ما جاء فى كتاب « البدائع » ج ١ ص ٩٩

« لا أنكر أن كثيراً من الشعراء اتخذوا مدح الملوك والأمراء وسيلة من وسائل العيش ، ولا أنكر أن كثيراً منهم وصل بذلك إلى أسفل دركات الإسفاف ، وأصرّح بأن من النقائص النفسية أن يسخر الشعر تسخيراً فى سبيل المنافع الزائلة ، وأعترف بأن هذه النقيصة تمسُّ كثيراً من شعراء اللغة العربية ، وإن كان من أسباب العزاء أن هذه النقيصة لم يتفرد بمارها شعراء العرب فقد كان أكثر الشعراء فى أوربا يعيشون عالةً على الملوك والأمراء ولم يعرف منهم باستقلال الشخصية إلا القليل . ولكنى — مع هذا — أقول بأن المديح ديوان العرب ، وهو الوثيقة الباقية على ما كان فيهم من كرم الشمائل والخصال . والمادحون قد يكذبون ، ولكنهم فى كذبهم يصورون ما اصطلح عليه معاصروهم من ألوان المحاسن والعيوب ، فالشاعر الكاذب يقف كذبه عند حقيقة ممدوحه ، ولكنه من الوجهة الاجتماعية صادق كل الصدق ، لأنه يصور ما يتشهى ممدوحه أن يتصف به من كرائم الخلال »

وهذا البحث كان من البحوث التى راعت الأستاذ المازنى وكان نُشرَ فى جريدة البلاغ قبل أن يُضم إلى الطبعة الثانية من كتاب البدائع

وقد رأى الأستاذ أحمد أمين أن ينهب الشطر الأول من الفكرة ويغفل الشطر الأخير ، لأن الشطر الأخير فيه توجيه لمدائح الشعراء وهو حريص على طمس محاسن أولئك الشعراء

وعاب أحمد أمين على العرب أن يلتزموا افتتاح القصائد بالنسيب وأن يتنقلوا بهذه العادة من جيل إلى جيل ، فى حين أن الشاعر قد لا يكون مشبوب العاطفة فى كل حين

وهذا الكلام مسروق من مقال أرسلته من باريس سنة ١٩٣١ وفيه أقول :

« لقد درج شعراء اللغة العربية منذ الزمن القديم على افتتاح القصائد بالنسيب ، وتلك طريقة لها محاسن ولها عيوب : فمن محاسنها أنها تمهّد للشاعر طريق الكلام ، وهى بذلك أشبه بالموسيقا تتقدم الغناء ليثور قلب المغنّى ويُرهَف إحساسه للتلحين والتطريب . ومن مساويها أنها تفرض على الشاعر ما لا قِبَل له باحتماله من التغنى بعواطف قد تكون خمدت فى صدره منذ أزمان. على أن الشعراء الأقدمين قد التزموا هذه القاعدة حتى وصلت ببعضهم إلى الإسفاف ، وحسبُ القارئ أن أذكر له أن من الشعراء الماضين من كان يفتتح قصائد الرثاء بالنسيب ، وذلك أغرب ألوان الشذوذ ، وقد أحصيتُ من هذا النوع عشرين شاهداً هى فى مذكراتى بمصر ، فليعذرنى القارئ إن اكتفيت بالإشارة إليها فى هذا الحديث »(١)

وصرح أحمد أمين بأن المعانى القديمة لم تخضع للتجديد ، وإنما نقلها الشعراء بلا تجميل ولا تحسين . أفلا يصح القول بأنه سرق هذه الفكرة مما جاء فى كتاب « البدائع » ج ١ ص ٢٩

« إن شعراءنا يدورون حول الحسن فلا يرون منه غير ما كان يرى الأقدمون. فحيرةُ الشاعر اليوم هى حيرة أسلافه منذ قرون مع أن النفوس قد تعقدت أشد التعقّد ، وهذا الحُسنُ — إن لم يلطف الله — مارِضٌ فى الفتك بلفائف القلوب ، وقد جدّت للأرواح أزمات جديدة ومطامح جديدة لم يَشُقَ بها الأولون ، فليس من المغالاة فى شىء أن نصارح القراء بأن النزل فى شعر شوقى وأضرابه من المعاصرين أصبح أعجز ما يكون عن وصف ما فى نفوسنا وأرواحنا وقلوبنا من ألوان القلق والظمأ والالتياع »

واهتم الأستاذ أحمد أمين بتوكيد القول بأن نزعة القرآن روحية لا حِسيّة . فنال بذلك ثناء الأستاذ محمود على قراءة الذى عدّ كلامه من المبتكرات ، فهل يعلم أن هذا الكلام مسروق من قول صاحب « التصوف الإسلامى » ج ٢ ص ٧

(١) البدائع ج ١ ص ٣٤

« وأقرب الآثار الصوفية إلى أذهان الناس هو القرآن ، ذلك الكتاب الذى أطال القول فى وصف الدنيا وذمها وثلبها وتحقيرها ، وقضى بأنها لهو ولعب ، وأنها فى نضارتها ليست إلا متاع الغرور . القرآن هو أقرب الآثار الصوفية إلى أذهان الناس وإن جهلوا ذلك ، هم يعدّونه كتاب تشريع وما هو كتاب تصوف . إن التشريع فى القرآن ليس إلا تنظيماً للعلاقات الدنيوية ، والعلاقات الدنيوية فى نظر القرآن هى تمهيدٌ للصلات الروحية : صلات الناس بالله الكبير المتعال ، وكلُّ مَغنم لا يُقرِّب المرء من ربه هو فى نظر القرآن ذُخرٌ باطلٌ سخيف »

ومع ذلك يقال إن أحمد أمين يدعو إلى الروحانيات وإن زكى مبارك يقاوم الروحانيات !

فيا ربِّ هل إلا بك النصر يُرتجَى

عليهم ؟ وهل إلا عليك المعوَّلُ ؟

غفر الله لى ولكم ، يا إخوان هذا الزمان !

ويوصى أحمد أمين بقَصْر دراسة تاريخ الأدب على المعاهد العالية والاكتفاء فى المدارس الثانوية بنصوص مختارة من الأدب الحديث

فمن أين أخذ هذا الكلام وهو الذى اشترك مع لجنة مكونة من أشخاص معروفين فى تأليف كتابين للمدارس الثانوية بُدِئ فيهما بالأدب الجاهلى والأدب الأموى ، وهما عصران أعلن عليهما الحرب فى هذه الأيام ؟

أخذ هذا الكلام من قول صاحب رسالة « اللغة والدين والتقاليد » ص ٤٢ و ٤٣ :

« إن درس تاريخ الأدب بدعةٌ نقلناها نقلاً عن أوربا ، وهى مقبولة هناك ؛ لأن الأدب الأوربى يكثر فيه القصَص والتمثيل ، وهى موضوعات أُلِفها التلاميذ ، لأنهم منذ الطفولة عرفوا القصَص وعرفوا التمثيل ، فلا يصعب عليهم أن يفهموا الفرق بين فنّ وفن ، وعصر وعصر ، وأسلوب وأسلوب . أما فى مصر فالأدب فى جملته يتحدث عن شئون جِدية لم يعرفها الشبان من قبل ، فمن العسير أن يدركوا كيف تطوّر واستحال من جيل إلى جيل... إن تاريخ الأدب لا ينبغى أن يدرس إلا فى المعاهد العالية ، أما المدارس الثانوية فيدرس فيها الأدب الصِّرف ، مع العناية بشرح النصوص والبحث عن مواطن الجمال فى النثر الجيد والشعر البليغ ... درس تاريخ الأدب فى المدارس الثانوية جهدٌ ضائع ، وسنصبر عليه إلى أن تسوق المقادير رجلاً حاذقاً من بين الذين عرفوا عقلية التلاميذ ، وما أظن أننا سنصبر طويلاً ، لأن العناية بإصلاح التعليم تزداد من يوم إلى يوم ، وإلى أن تحذف تلك المادة الفضولية نوصى أساتذة اللغة العربية بأن يتخيروا للمطالعة والمحفوظات نصوصاً لا تخرج عن الأدب الحديث ، لأنه أقرب العصور إلى أذهان التلاميذ ، وقربُه من أذهانهم يساعد المعلمين على بيان ما يتصل به من الملابسات الخلقية والاجتماعية ، ويمكّن التلاميذ من فهم ما فيه من أسرار البيان »

ورسالة « اللغة والدين والتقاليد » نشرت فى سنة ١٩٣٦ ، والفكرة قديمة عند صاحب هذه الرسالة فهى مُثبتةٌ فى كتاب « ذكريات باريس » الذى طبع فى سنة ١٩٣١

وأحمد أمين يعرف أن الجندى المجهول الذى اسمه زكى مبارك هو الذى غير منهج دروس الأدب فى مدارس وزارة المعارف من حال إلى حال ، فقد كانت تبتدئ بالعصر الجاهلى فصارت تبتدئ بالعصر الحديث . ومن السهل أن نستخرج المذكرات التى قدمتها للوزارة فى هذه القضية ليعرف أحمد أمين هُوِيّة الرجل الذى وَأَد كتاب « المجمل » وكتاب « المفصّل » عليهما رحمة الله ، وعلى مؤلفيهما السلام ، وهى تحية تصل أصداؤها إليه وإلى على الجارم وأحمد ضيف وعبد العزيز البشرى وطه حسين

وسيأتى يوم أفصّل فيه ما أديت من الخدمات لتوجيه الحياة العلمية بوزارة المعارف ؛ تلك الخدمات التى انتفع بها أحمد أمين وغير أحمد أمين ، ثم مضت بلا شكر ولا جزاء غير السرقة والانتهاب !

إن الفخر بغيض ممقوت ، وقد عابه علىّ الأصدقاء قبل الأعداء ؛ ولكن ماذا أصنع وأنا أشهد آرائى تُنتهب بلا تحرُّز ولا ترفق ، وبها يرد على خصومى حين يشتجر القتال ، وكأنها مما ابتكرت أفكارهم الثواقب وألسنتهم النواطق !

ويقول أحمد أمين وطه حسين : إن الأدب يجب أن يرفع نفسية الأمة ويدلها على مواطن الضعف والقوة لتواجه الحياة عن هدى وبصيرة

فهل أستطيع أن أقول إن هذه الآراء منهوبة من قول صاحب رسالة « اللغة والدين والتقاليد » (ص ٤٦ و ٤٧)

« فإذا انتقلنا من الأدب وتاريخ الأدب فى المدارس الثانوية والعالية تلفتنا نبحث عن الأديب الخلاق لدرس الحياة ، ونحن نرجو أن يكون فى أساتذة الأدب من يخرج على الذوق المتكلف والوقار المصنوع ، نرجو أن يكون عندنا أساتذة يزورون تلاميذهم فى بيوتهم ، ويرافقونهم فى الحفلات والسهرات ، ويطوفون بهم على الأحياء الشعبية ليعلموهم كيف تكون الثورة على ما فى حياة الشعب من بؤس وشقاء ... نريد أساتذة يربون تلاميذهم على مرافقة العمال والصناع والفلاحين ليكونوا فى المستقبل من حملة الأقلام الثورانية التى تبدد غياهب الجهل والخمول ... نريد أدباً يبعث فى الشعب روح التمرد على الفقر والمسكنة والذل ، ويروضه على الطمع الشريف فى الغنى والكسب والعزة والكبرياء ... نريد أدباً يطمعنا فى استرجاع ما ضاع من مجد مصر والنيل ... نريد أدباً يرفعنا إلى صفوف الجوارح ، نريد أدباً يعلمنا فضل المخلب والناب ، نريد أدباً نسيطر به على الدنيا غير باغين ولا عادين »

* * *

أما بعد فقد أنهيتُ القول فى محاسبة الأستاذ أحمد أمين بعد أن أرقت جفونه خمسة أشهر كانت عنده كألف سنة مما تعدون ، وأنا أشكر لمجلة «الرسالة» وقرائها ما لقيت من تشجيع وترحيب

انتهيت من محاسبة أحمد أمين الباحث ، أما أحمد أمين الصديق فله فى قلبي أكرم منزلة وأرفع مكان ، ولن يراني الاحيث يحب فى حدود المنطق والعقل ، فما أرضى له أن يكون من الساخرين بالأدب العربي وماضي الأمة العربية

وسأبدأه بالتحية حيث تَقيـتُه . فلا يَزْوِ عني وجهاً أراه أهلاً للكرامة والحب

وسلام عليه من الصديق الذى لا يغدر ولا يخون

« تم البحث » زكى مبارك

من كتاب « الدين الإسلامى »

# من هو المسلم ؟

## للأستاذ على الطنطاوى

ديننا علم واعتقاد وعمل

فالمسلم من ( علم ) أن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل بالشريعة الخالدة التى تصلح لكل زمان ومكان، والتى تكفل لمتبعها سعادة الدنيا والآخرة، وجعلها رحمة للعالمين ، وهدى للناس أجمعين ، وأنزل عليه الكتابَ الذى ما فرط فيه من شيء ، القرآنَ كلامَ الله القديم ، وختم بالإسلام الرسالات فلا نبي بعد محمد خاتم النبيين

و ( علم ) أن دعامة الإسلام وأساسه ، ومصباحه ونبراسه، كتاب الله وسنة نبيه ، فما جاء فى القرآن أو صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو من الدين ، وما عدا ذلك من بدع ابتدعها فى الدين قوم ، أو زيادات زادها أقوام ليست فى القرآن ولم ترد فى الحديث الصحيح ولا تقاس عليهما ولم يجمع عليها أئمة المسلمين فليست من الدين ولو قال بها أهل الأرض

و ( علم ) أن الإسلام لا يشبه الأديان ولا يقاس عليها ، لأنه دين وشريعة وسياسة وأخلاق ، فهو يبين صلة العبد بربه ، ويضع القوانين لصلات الناس بعضهم ببعض ، ويبني قواعد العلاقات السياسية بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول ، والإسلام يرافق المسلم إذا غدا أو راح أو طلع أو نزل لا يفارقه لحظة ولا خطوة . وليس فى الدنيا عمل لا يدخل فيه الإسلام ويبين فيه حكم الله ، فإما أن يكون مباحاً لا يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، وإما أن يكون مندوباً يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، وإما أن يكون واجباً يثاب فاعله ويعاقب تاركه ، وإما أن يكون مكروهاً يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله ، وإما أن يكون حراماً يثاب تاركه ويعاقب فاعله . وهذه الأحكام الخمسة (الفرض والمندوب والمباح والمكروه والحرام) هى التى تحدد مكان كل عمل من الدين ولا يخلو عمل من واحد منها . فالمسلم لا يقول أبداً ( هذا الأمر خارج عن نطاق الدين لا دخل له فيه ) كما أنه لا يقول (إن الإسلام يجب أن ينفصل عن السياسة ) لأن السياسة جزء من أجزاء

تقدم محلات شيكوريل
لحضرات زبائنها الكرام مزيد التهاني بحلول
عيد الفطر المبارك أعاده الله على الجميع بخير وسعادة